الأوضاع السياسية والدينية والاجتماعية في المغرب الأوسط من خلال الكتابات الأثرية في العصر الزياني - المريني

د.عبدالعزيز لعرج•

المحور الأول/ أوضاع المغرب الإسلامي بعد هزيمة الموحدين في العقاب :

شهد المغرب الإسلامي والأندلس بعد هزيمة العقاب سنة ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م. ضعفا على المستوى الداخلي وتراجعا على المستوى الخارجي في الأندلس،وزاد من سوء أحوال الدولة الموحدية وفاة الخليفة الناصر بعدسنة ونيف من هزيمته في الأندلس ليخلفه إبنه المستنصر، وكان في أول شبابه، فغلب عليه الوزراء ومشيخة الموحدين، وانشغل هو نفسه عن التدبير بما يقتضيه الشباب[١] ،واحتدم الصراع على الحكم في البلاط وبين الأمراء وأبناء البيت الموحدي،فتوقف الإنتاج الفلاحي وتراجعت الصناعة والتجارة واشتدت الفوضى في البلاد بالمغرب والأندلس ،فساءت أحوال الدولة الإقتصادية والإجتماعية،وآلت إلى الإنحدار والإنحلال السريع.

الحفصيون في إفريقية :اغتنم ذلك زعماء القبائل، وأخذوا في الإنسلاخ عن الدولة تدريجيا الواحد تلو الآخر، وكان أول المنسلخين الأمير أبي زكريا الحفصي (٦٢٥ - ٦٤٧هـ/١٢٢٧ - ١٢٤٩م حاكم إفريقيا للخليفة المأمون مؤسسا الأسرة حاكمة في إفريقية ومكونا الدولة الحفصية (٦٢٥ - ٩٨٢هـ/ ١٢٢٧ - ١٥٧٤م) ومتخذا من تونس عاصمة له ولخلفائه، متعللا في ذلك بالإصلاحات التي أدخلها الخليفة المأمون على رسوم الدولة من إلغاء رسوم المهدي من السكة والخطبة وإسقاطه لمذهب الموحدين بشعاراته ورسومه،والنعي عليه في الآذان، ناكرا عليه تبديل أصول الدولة وسننها، فخلع طاعته سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م،واستولى على نواحي المغرب الأدنى ومناطقه ثم على قسنطينة وبجاية وضمهما إلى دولته في إفريقية[٢]

ولم يستطع الموحدون أن يحركوا ساكنا لانشغالهم بالصراع فيما بينهم والتآمر على بعضهم البعض.

الزيانيون في المغرب الأوسط :وتلاه في **الإنفصال عن الموحدين** و**الإنسلاخ** عنهم، **يغمراسن بن زيان** من قبيلة بني عبدالواد الزناتية ، القاطنين بغرب تلمسان من المغرب

• د. عبد العزيز لعرج،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم الآثار، جامعة الجزائر.

[١] عبدالرحمن بن خلدون، كتاب العبير،مج ٦،دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة،بروت لبنان ١٩٨٣،ص.٥٢٣ - ٥٢٤.

[٢] عبدالرحمن بن خلدون، نفس المصدر مجـ ٦، ص. ٥٩٣ - ٥٩٥، السيد عبدالعزيز سالم، المغرب الكبير، جـ٢،العصر الإسلامي، دار النهضة، بيروت - لبنان ١٩٨١،ص.٨٧٥ - ٨٧٦ ،
G.Marcais, La BerberieMusulmane et l'orient au moyen àge, Paris 1946,P.279, Note n2

الأوسط، ويأتلِفون في عصبية قبلية من خمسة شعوب أو فرع قبلي[٣] وقد انحازوا للموحدين عند ما حلوا بالمغرب الأوسط ضد المرابطين وقدموا لهم خدمات في أول دولتهم، فكافأوهم بإقطاعهم ضواحي المغرب الأوسط بنواحي تلمسان ووهران ينتجعون فيه، وظلوا مناصرين للموحدين وعمالا لهم يقومون بخدمتهم كلما دعت الحاجة اليى ذلك وخاصة في محنة ابن غانية الذي اكتسح المغربين الأدنى والأوسط معيثا فيها فسادا وخرابا، فكان بنوا عبدالواد سيفا عليه للموحدين، ،ووصلوا إلى حكم تلمسان والمغرب الأوسط مستغلين ظروفا سياسية استجدت كانوا هم ضحاياها، وبطلها الحسن بن حيون من شيوخ قبيلة كومية الموحدية، وهو عامل منطقة تلمسان للخليفة المأمون (٦٢٤ ـ٦٣٠هـ/ ١٢٢٨ ـ ١٢٣٢م)،وكانت له على بني عبدالواد مآخذ وظغائن في نفسه عليهم لسيطرتهم على مناطق غرب تلمسان برضا الخليفة نفسه،فأغرى حاكم مدينة تلمسان السيد أبا سعيد أخو الخليفة ، وكان ضعيف الشخصية، فتقبض على رؤساء قبيلة بني عبالواد وزج بهم في السجن، وطال أمدهم فيه، فشفع لهم عند حاكم المدينة زعيم بقايا لمتونة المرابطية إبراهيم بن إسماعيل بن علان،كان الخليفة عبدالمؤمن قد عفا عنهم وألحقهم بالديوان،وجعلهم في حامية المدينة[٤] وتأثر لرد شفاعته، وغضب لذلك،فجمع أصحابه وقتل والي المغرب الأوسط وسجن حاكم المدينة ثم أخرج بني عبدالواد من السجن، وخطط للإستيلاء على تلمسان والمغرب الأوسط بمساعدة بقايا بني غانية المتفرقون في النواحي لإحياء دولتهم،ثم تراءى له الغدر ببني عبدالواد لخوفه من قوتهم وسطوتهم ونفوذهم بالمغرب الأوسط ومحبة الناس لهم،فعمل على الإيقاع بهم ولكنهم فطنوا لمؤامرته، فتخلصوا منه، ودخلوا مدينة تلمسان تحت قيادة زعيمهم جابر بن يوسف فحرروا أخو الخليقة من محبسه ،باسم الخليقة المأمون ونزولا عند إرادته، وبعثوا له بالبيعة والطاعة[٥]،فكتب لجابر العهد على تلمسان وسائر بلاد زناتة بالمغرب الأوسط، فسارع بفرض سيطرته على النواحي والحواضر والإستيلاء عليها، وكان آخرها مدينة ندرومة، فتقدم لحصارها، ولكنه أصيب بسهم فقتل سنة ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م.[٦]فخلفه ابنه الحسن وكان كبير السن، فتخلى عنها لعمه عثمان،ثم نحي عن الإمارة وسلمت لأبي عزة زيدان بن زيان، ولكنه قتل في بعض الحروب مع بني عمومته بني المطهر وأحلافهم بني راشد،فاتفق بنو عبدالواد على تولية أخيه يغمراسن

---

[٣] يحي بن خلودون،مصدر سابق،ص.١٨٦،د.عبدالعزيز لعرج، المنشآت المرينية في إمارة تلمسان الزيانية، رسالة دكتوراه في مجلدين وألبوم(غير منشورة)، معهد الآثار ـ جامعة الجزائر،وجامعة السوربون بباريس،١٩٩٨،مجـ١،ص.٣٥ ـ ٣٦

[٤] يحي بن خلدون،بغية الرواد،جـ ١،ص.١٩٩.)

[٥] عبدالرحمن بن خلدون، مصدر سابق،مجـ٦، ص.٥٢٩

[٦] محمد بن عبدالله التنسي،تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق محمود بوعياد،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ١٩٨٥، ص.١١٢ ـ ١١٣.

بن زيان سنة ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م،وبايعوه بيعة الملك المستقل وخلعوا طاعة بني عبدالمؤمن إلا من ذكر إسم الخليفة في الخطبة[٧] ، وكان انفصال الزيانيين عن الدولة الموحدية ضربة ثانية أصابت كيانها بعد ضربة الحفصيين وانفصالهم .
عنها دون قيامها بأي مواجهة أو حركة استرداد لضعفها وعجزها عن المواجهة والتصدي والذود عن حماها،وتحولت تلمسان على إثر ذلك إلى عاصمة دولة بعد أن كانت عاصمة إقليم.

المرينيون في المغرب الأقصى : وهم زناتيون بنو عمومة الزيانيين،ولكنهم رفضوا موالاة الموحدين والإنضواء تحت رايتهم كالزيانيين، فانعزلوا في المنطقة الممتدة بين مصاب وجبل راشد إلى وادي ملوية وفكيك وسجلماسة، يعيشون حياة البداوة والترحال،ثروتهم الخيل والإبل والماشية، وكانوا يمتارون صيفا من بلاد المغرب، فدخلوها سنة ٦١٠هـ/ ١٢١٣م، فوجدوا أوضاعها قد ساءت بعد هزيمة العقاب والبلاد انخربت، فأرسلوا لقومهم يذكرونهم بثراء البلاد وثرواتها وخرابها وفراغها من المقاومة والجند،فدخلوا المغرب من وادي تلاغ بنواحي تازة،بأموالهم وأولادهم في غفلة من الموحدين وتهاون منهم لانشغالهم بالدنيا ولهوها، وركونهم إلى الدعة ورغد العيش والغيد في القصور[٨]،وعند ما أفاق الموحدون وجدوا بني مرين قد انتشروا في البلاد يفرضون سلطتهم على الناس والإتاوات على السكان، ويضيقون على المدن والأمصار،فأرسل البلاط الموحدي جيوشه لردهم فانهزمت الجيوش في وادي نكور سنة ٦١٣هـ/١٢١٦م،وسميت هذه المعركة والعام بمعركة وعام المشعلة، وهو ورق نباتي كبير اضطر الجند الموحدي المنهزم للبسة وستر عورته به[٩] ، وقد تواصل الصراع السياسي والعسكري بعد معركة نكور بين الموحدين والمرينيين متخذا أسلوب المواجهة العسكرية العنيفة حينا والدسائس والمؤامرات حينا آخر، يستغل كل منهما جوانب الضعف وموطن الخلاف في الطرف الآخر،ليزيد في ضعفه وتعميق الخلاف في معسكره ليجهز عليه في النهاية.

وظل الحال على ذلك من الصراع والحروب القائمة والدائمة بين الطرفين خلال عهد الأمير أبي سعيد عثمان بن عبدالحق (٦١٤ - ٦٣٧هـ/١٢١٧ - ١٢٣٩م)[١٠]،وخلفه محمد الأول بن عبدالحق (٦٣٧ - ٦٤٢هـ/ ١٢٣٩ - ١٢٤٤م).[١١]

---

[٧] يحي بن خلدون، مصدر سابق، جـ١، ص.٢٠٤، محمد بن عبدالله التنسي، نقس المصدر، ص.١١٣.)

[٨] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط ١٩٧٣،ص. ١٨١ -١٨٣.

[٩] مؤلف مجهول، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية،نشره الشيخ بن أبي شنب،مطبعة جون كاربونل،الجزائر ١٩٢٠،ص.٢٧ - ٢٨.

[١٠] عن الأحداث في عهد هذا الأمير وصراعه مع الموحدين، ينظر ما يلي/ ابن أبي زرع، مصدر سابق،٢٨٨ - ٢٨٩، مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص.٣٣، ٣٥ -٣٧، محمد عبدالله عنان،عصر

ثم في عهد أبي يحي أبي بكر بن عبدالحق (٦٤٢ ـ ٦٥٦هـ/ ١٢٤٤١٢٥٨م) [١٢] حتى تمكن الأمير أبي يوسف يعقوب بن عبدالحق (٦٥٦ ـ ٦٨٥هـ/١٢٥٨ ـ ١٢٨٦م) من القضاء على الدولة الموحدية في عهد الخليفة الموحدي الأخير أبي دبوس (٦٦٥ ـ ٦٦٨هـ/١٢٦٦ ـ ١٢٦٩م)[١٣].

وإذا كان الصراع المريني الموحدي قد انتهى بسقوط الدولة الموحدية ودخول المرينيين عاصمتهم مراكش، فإن المرينيين كانو يصارعون على جبهة أخرى هي الجبهة الزيانية شرق المغرب الأقصى، وكان هذا الصراع قد بدأ مبكرا مع توغل المرينيين في الممتلكات الموحدية بالمغرب الأقصى، وأسبابه الرئيسية البعيدة العداء القديم بين بني العمومة على السيطرة والتنفذ، والمساعدة العسكرية التي كان يطلبها الموحدون من يغمراسن بن زيان لمواجهة المرينيين فيلبيها، وكان يدرك منذ البداية أن المرينيين سوف يرجعون عليه بانتصارهم على الموحدين ،وأن رجوعهم عليه يعني نهاية وجود دولته،مما جعله يعتمد سياسة المواجهة الدئمة معهم، ودام ذلك الصراع طيلة حكم يغمراسن (٦٣٣ ـ ٦٨١هـ/ ١٢٣٥ ـ ١٢٨٢م[١٤]،وذخل معهم في حروب طاحنة كان فيها غازيا أو مغزوا،إما منفردا أو متحالفا مع الموحدين[١٥]،وخاصة في عهد أبي يوسف يعقوب بن عبدالحق الذي بدأت علاقتهما طيبة ثم ساءت بسبب أطماع كل منهما والأحقاد المتراكمة بينهما، فقامت الحرب بينهما بغرض السطرة على سجلماسة محطة تجارة الذهب وملتقى طرقها،ثم تحالف يغمراسن مع أبي دبوس ضد المرينيين، وهاجم ممتلكاتهم والتقى معهم في واقعة وادي تلاغ بالملوية سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٧م[١٦] ولكنه كان يدرك مشقة مواجهتهم، فأوصى ولده وخليفته أبا سعيد عثمان وهو على فراش الموت سنة ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م بتحاشيهم والقبوع وراء أسوار المدينة إذا أقبلوا لحربه، وأن

المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الثاني، عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى،ص.١٢،١٦ ، ٥١٢.

[١١] عنه وعن الأحداث في عهده، ينظر/ مؤلف مجهول، المصدر السابق،ص.٦٢ ـ ٦٤، ابن أبي زرع، مصدر سابق،٢٨٩ ـ ٢٩٠، عبدالرحمن بن خلدون، المصدر السابق، مجـ٧، ص.٣٥١ ـ ٣٥٢.

[١٢]عبدالرحمن بن خلدون، نفس المصدر، مج٦، ص.٦١٨ ـ ٦، مجـ ٧، ص.٣٥٣، السلاوي، مصدر سابق، ج ٣،ص. ١١ ـ ١٩

[١٣] عن جهود أبي يعقوب بن عبدالحق في بناء الدولة المرينية،وفتح مراكش،ينظر/د.محمد عيسى الحريري،مرجع سابق،ص.٢٧ ـ ٣٥.

[١٤] عن الصراع المريني الزياني، ينظر/ يحي بن خلدون، مصدر سابق، ص.٢٠٥ ـ ٢٠٨، عبدالرحمن بن خلدون، مصدر سابق، مجـ ٧، ص.١٧٥ ـ ١٨٣،١٧٦ ـ ١٨٤

[١٥] أنظر ذلك في/عبدالله عنان،مرجع سابق،ص.٥٣٣.

[١٦] عن تلك الأحداث،أنظر في / عبدالرحمن بن خلدون ، نفس المصدر،مجـ ٧، ص.١٧٥ ـ ١٧٧،٣٨٨ ـ ٣٨٩،٣٧١، السلاوي مصدر سابق، جـ٣، ص.٣٠٥ ـ ٣٠٧ يحي بن خلدون، مصدر سابق، ص٢٠٧،مؤلف مجهول، مصدر سابق،١١٢،١٢٧ ـ ١٣٢

يتوسع شرقا على حساب الحفصيين،وهو ما أثبتته الأحداث فيما بعد[١٧]،وأصبحت تلمسان تغزى من طرف المرينيين بعد سقوط مراكش في يدهم سنويا وأحيانا أكثر من مرة في السنة الواحدة، وكانت الأسباب الظاهرة دوما التوسع الزياني في الشرق على حساب الحفصيين أصهار بني مرين، وإثارة الفتن والمؤامرات في البلاط المريني وتشجيع ومساعدة الثوار والمناوئين للمرينيين في المغرب، واستقبال الثوار من الأسرة المرينية وحمايتهم وعقد التحالفات ضد المرينيين في المغرب والأندلس[١٨]،وقد اشتد هذا الصراع في عهد أبي الحسن علي بن سعيد في الفترة (٧٣٥ ـ ٧٤٩هـ/ ١٣٣٤ ـ ١٣٤٨م،وابنه أبي عنان فارس (٧٥٠ ـ ٧٥٨هـ/١٣٤٩ ـ ١٣٥٦م)حيث سقطت تلمسان في يدهما واستولى كل منهما على المغرب الأوسط بكامله ولكنه لايلبث أن يعود لحكم الزيانيين ويقومون بإعادة إحياء دولتهم، وخاصة على يد أبي حمو موسى الثاني بن يعقوب (٧٦٠ ـ ٧٩١هـ/١٣٥٩ ـ ١٣٨٨م.[١٩]

المحور الثاني / الكتابات الأثرية في مسجدي أبي الحسن وسيدي أبي مدين:المضامينوالمعاني والدلالات:

الحركة العمرانية والمعمارية والفنية بتلمسان الزيانية:

شهدت تلمسان خلال قرن من الزمن، يمتد من البصف الثاني من القرن ٧هـ/ ١٣م إلى نهاية النصف الأول من القرن ٨هـ /١٤م حركة عمرانية ومعمارية نشطة، ولم يكن الصراع الذي شب بين الجارتين: الدولة الزيانية في المغرب الأوسط والدولة المرينية بالمغرب الأقصى عائقا في وجه تلك الحركة، بل استفادت مدينة تلمسان وأرباضها بالعديد من المنشآت خلال فترة الصراع وخاصة على يد المرينيين وذلك لأسباب سياسية ودينية واجتماعية[٢٠].

وقد زينت تلك المنشآت المعمارية بمختلف الزخارف، أهمها الزخارف الكتابية التي عبرت عن أوضاع المنطقة في جوانبها: السياسية والدينية والإجتماعية. وإلى جانب تلك الكتابات في المنشآت فإن المقابر والأضرحة داخل المدينة وخارجها تحفل بكتابات شاهدية كثيرة، بعضها نقل لمتحف المدينة والبعض الآخر منها ما زال في مكانه، وبعض كتابات تلك الشواهد تحمل بدورها مضامين ذات أبعاد سياسية ودينة واجتماعية.

وسوف نختار أربعة نماذج من النقوش الكنابية الزيانية والمرينية : إثنان منها تزينان منشآت معمارية وأخرى نقوش شاهدية،فأما النموذجين المعماريين فهما:

---

[١٧] عبدالرحمن بن خلدون ، نفس المصدر،مجـ ٧،ص.١٨٩.

[١٨] ابن أبي زرع، مصدر سابق، ٣٧٩،عبدالرحمن بن خلدون ، نفس المصدر،مجـ ٧،ص.٤٤٢، ١٣٢ـ ١٣٤.السلاوي، مصدر سابق، جـ٣، ص.٧٣ ـ ٧٤.

[١٩] محمد بن عبدالله التنسي، مصدر سابق،ص.١٥٧ ـ ١٨١.)

[٢٠] د. عبدالعزيز لعرج، المساجد الزيانية عمارنها وخصائصها، حوليات جامعة الجزائر، العدد٦، السنة ١٩٩١ ـ ١٩٩٢، ص.١٠٤ ـ ١٠٥

الأول/ **كتابات مسجد سيدي أبي الحسن (بلحسن) الزياني المشيد سنة** ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م داخل مدينة تلمسان.
والثاني/ **كتابات جامع سيبدي أبي مدين (سيدي بومدين) المريني المشيد سنة ٧٣٧هـ/**١٣٣٦م في العباد العلوي خارج المدينة بضاحيتها الشرقية
مسجد سيدي أبي الحسن (شكل ١-٨):شيده السلطان أبو سعيد عثمان بن يغمراسن لذكرى أخيه أبي عامر ابراهيم بعد وفاته[٢١]،كما سجل إسم المؤسس وتاريخ التأسيس في لوحة رخامية في حائط القبلة يمين المحراب، وفي بحرين مستطيلين يمتدان أفقيا أسفل منبت العقد.[٢٢] والمسجد صغير الحجم مقاساته ٩,٧٠×١٠,٢٠م لاصحن له ،يتكون من ثلاث بلاطات عمودية على حائط القبلة الذي يتوسطه المحراب ،وكسي المحراب والحائط في أجزائه العليا بزخارف جصية متنوعة نباتية وهندسية وكتابية ويُعد المسجد بزخارفه وكتاباته من أفخم وأجمل مساجد المغرب الأوسط[٢٣].
أما **جامع سيدي أبي مدين بالعباد (٧-١٤،١٠-١٨):** فقد شيده السلطان المريني أبي الحسن علي ابن أبي سعيد في غزوته على تلمسان واستيلائه عليها وعلى المغرب الأوسط بكامله، وذلك بعد سنتين من الحصار (٧٣٥ -٧٣٧هـ/ ١٣٣٤ - ١٣٣٦م) عام ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦[٢٤]، والجامع متوسط الحجم مقاساته ٢٨,٤٥م×18.10م يتوسطه صحن مربع طول ضلعه ١٠م×١٠م تحيطه أربع أروقة، أكبرها وأجلها رواق القبلة بمحرابه ،ويتألف من خمس بلاطات عمودية على حائطه أوسعها أوسطها ينتصفها المحراب، وقد كست الزخارف الجصية واجهة المحراب وجوفه والأجزاء العليا من الحائط، وتتألف من مواضيع هندسية ونباتية وكتابية تُعد من مفاخر زخارف تلمسان[٢٥].

وللجامع واجهة رئيسية مقابلة لواجهة ضريح سيدي أبي مدين، وبابها على محور مع محراب الجامع،والواجهة نفسها عبارة على هيكل بنائي مستطيل ذي بابين خارجي مرتفع وداخلي، وما بينهما سقيفة تبدأ من الباب الخارجي في صعود عبر درج بحائطين جانبيين ذي بابين: الأيمن يؤدي لحجرة تشغل قاعدة المئذنة،والباب الأيسر يفتح على درج يصعد لكتاب علوي وينزل لميضأة مياهها جارية، والسقيفة تغطيها قبة مقرنصة أقرب إلى الإستطالة منها إلى التربيع علو النمط الموحدي، ويؤدي الدرج إلى الباب الداخلي المفتوح على الصحن،وقد كُسي جداري السقيفة الجانبيين بزخارف **جصية متنوعة بارتفاع**

---

[٢١] يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبدالواد، نحقيق د.عبدالحميد حاجيات،الجزائر سنة ١٩٨٠،ص.٢٠٩.

[22] R.Bourouiba , L'art religieux musulman en algerie, AlgerS.N.E.D, 1973, p.122.

[٢٣] د.عبدالعزيز لعرج، المساجد الزيانية ...ص. ١١١

[٢٤] محمد بن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تدقيق د.ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٨١،ص.٤٠٣).

[25] R.Bourouiba, L'art religiuex..., P.160 _ 161

يبدأ من قامة الشخص إلى أسفل السقف ،وأهمها النقوش الكتابية ،وهو نفس مايقال بالواجهة الخارجية وعقد المدخل[٢٦].

أنواع الخطوط المستخدمة في النقوش الكتابية : استخدم نوعان من الخطوط في الزخارف الكتابية في المسجدين وهما الخطان **الكوفي** و**النسخي المغربي** ،وهو ماسوف نستعرضه فيما بعد.

أما النقوش الكتابية في شواهد القبور فقد استخدم فيها الخط النسخي المغربي دون غيره من الخطوط .

طبيعة الكتابة في المسجدين : الكتابة في المسجدين معظمها كتابات قرآنية من آي الذكر الحكيم، سجلت آيات من سور مختلفة،وكان النقاش يلجأ إلى نقش آيات متتالية وذلك أمر ناذر في المسجدين،أو يقوم بتجزيء الآية : فينقش بدايتها أو تكملتها،وهو الغالب،ونرجح أن ذلك لم يكن أمرا عفويا، بل نرى أن الفنان النقاش كان يقصد ذلك، فيختار ما يتلاءم مع الفكرة أو المعنى والدلالة التي يراد تبليغها للناس، وأن اختيار الآيات والسور كان يتم على يد متولي البناء أو المشرف عليه وهو فقيه أو عالم أو على أقل تقدير شخصية لصيقة بالبلاط مدركة لطبيعته عارفة بشخصية السلطان الحاكم وذهنيته وانشغالاته ومشاريعه، فيقوم في مهمته الموكلة إليه باختيار ما يعبر عن ذلك كله بتدخل من السلطان الحاكم مباشرة أو باختياره هو نفسه تعبيرا عن تلك الإنشغالات، وهو ما حدث بالنسبة لجامع سيدي أبي مدين، فالمشرف على البناء كان من أكثر الشخصيات في البلاط المريني علما وفضلا وفقها، وهو عالم من عائلة تلمسانية ضاربة في عمق العلوم والفقه،وكان أمين سر السلطان المريني، وهو محمد بن مرزوق صاحب المسند الصحيح الذي كتبه عن السلطان أبي الحسن، فإبن مرزوق يصرح : **" أن بناء جامع سيدي أبي مدين شعيب بن الحسين الذي عز مثاله، واتصف بالحسن والوثاقة أشكاله ....وكان بناؤه على يد عمي وصنو أبي الصالح أبو عبدالله محمد بن أبي بكربن مرزوق وعلى يدي... "**[٢٧]

بنية الكتابات :

المضامين الكتابية ودلالاتها في الجامعين :

تنوعت **مضامين الكتابات** في هذا المسجد واختلفت معانيها ودلالاتها، ولم يكن استخدام تلك الكتابات دون غرض أو للزخرفة والزينة فقط، ولكنها كانت تحمل رسالة ومعاني ودلالات متنوعة ومختلفة، صريحة أو ضمنية أو تلميحية تعبر في مجملها على أوضاع دينية وسياسية واجتماعية كانت تشغل بال الحكام أنفسهم، أورائجة مطروحة أو

[٢٦] د. عبدالعزيز لعرج، المنشآت المرينية في إمارة تلمسان الزيانية، ، مجـ ١،ص.٢٤٢ ـ ٢٤٦،٢٥٤ ـ ٢٦٠.

[٢٧] د. عبدالعزيز لعرج، المنشآت المرينية في إمارة تلمسان الزيانية، ، مجـ ١،ص.٢٤٢ ـ ٢٤٦،٢٥٤ ـ ٢٦٠.

متداولة في حياة المجتمع في جوانبه المختلفة،وإذا كانت الدلالات السياسية تختلف بين الزيانيين والمرينيين لاختلاف مشاريعهم السياسية وأهدافهم وطموحاتهم وقدراتهم على تحقيقها لدرجة التناقض أحيانا،فإن المعاني والدلالات الدينية والاجتماعية متشابه لدرجة التطابق أحيانا أخرى.

وربما يرجع ذلك إلى أن العصر عصر طغيان الروح الدينية على حياة المجتمع، وكان التفوق فيه للفقيه على السياسي، وللعالم على السلطان،لذلك رأى السلطان أن يتقرب من الرعية وجميع فئات المجتمع بالظهور بمظهر الورع، الحريص على الدين،القائم عليه،العامل على حمايته والدعوة إليه وتطبيق حدوده والسعي لأخذ الناس به في أعمالهم ومعاملاتهم،لذلك جمع الحكام والسلاطين السلطتين الدينية والزمنية في يدهم،وتسموا بعبيد الله والمتوكل على الله أو ماشابه ذلك، وتَلقبوا بأمير المسلمين أو المؤمنين أو خليفة المسلمين وُنعتوا بالمجاهد في سبيل الله، ويَظهر ذلك كله في الدولتين الزيانية والمرينية.

ويتضح ذلك في الكتابات والنقوش التي تزين المنشآت ،أوسُجلت في المساجد الجامعة الرسمية التي تحتل مواضع هامة في المدينة أو أحيائها من حيث إقبال الناس عليها وسهولة الوصول إليها من أهل المدينة والغرباء، كان هدفها إطلاع الناس عليها.

ومن هنا فإن الحكام والسلاطين والقائمين على شؤون بناء المؤسسات الرسمية منها على وجه الخصوص ،كانوا يعمدون إلى إبلاغ أفكارهم ومشاريعهم إلى مختلف شرائح المجتمع من خلال نقشها على جدران هذه المباني، وفي الأماكن البارزة منها التي يسهل من خلالها الإطلاع عليها وخاصة الواجهات والمداخل الرئيسية وجدار القبلة وواجهة محرابه وجوفه ، وهي أماكن مهمة في الجوامع لمقابلتها للمصلين، وعلى ذلك فإن الكتابات في هذا النوع من المساجد تؤدي دور الدعاية والإشهار للدولة وللسلاطين والحكام، وتعبر عما يرغبون في نقله للناس من مشاريع سياسية ومذاهب دينية وشرائع وسنن اجتماعية.

ويمكننا أن نقف على تلك المعاني والدلالات التي تعبر عنها الكتابات في المسجدين السابق ذكرهما، وفي نماذج من الكتابات الشاهدية ،وذلك من خلال فحص المضامين التي تؤلفها تلك النقوش الكتابية، والتي من خلالها يمكن معرفة الأوضاع المختلفة للمغرب الأوسط السياسية والدينية والاجتماعية في فترة الصراع بين الجارتين: الدولة الزيانية والدولة المرينية.

أولا /جامع سيدي بلحسن الزياني : لم تقم الدولة الزيانية على أسس دينية إصلاحية كالدولة المرابطية أو الموحدية، ولم يكن مؤسسها إماما أو عالما أو فقيها كعبدالله بن ياسين المرابطيابن[٢٨] ومحمد بن تومرت الموحدي [٢٩] ،وهم لاينتسبون لهاتين

٢٨ أبي زرع، مصدر سابق، ص.١٢٤ ـ ١٢٥٤، وعن مباديء الدعوة المرابطية، ينظر/حسن أحمد محمود،قيام دولة المرابطين،ص.١٤٣ ـ١٤٤.

الدولتين، ولم يدعي سلاطينها الأوائل النسب الشريف وإنما كانوا متغلبين، أقاموا دولتهم على حدّ السيف وعلى العصبية القبلية، وهو ما يُفهم من قول مؤسس الدولة نفسه يغمراسن بن زيان يوم بيعته سنة ٦٣٣هـ / ١٢٣٤م وقد سئل منه القول بالشرف إثبات نسبه إليه، فأجاب :**"إن كان المراد شرف الدنيا فهو ما نحن فيه، وإن كان القصد به شرف الأخرى فهو عند الله سبحانه"**[٣٠]، وفي قول آخر: **"إن كان هذا صحيحا (أي النسب الشريف) فينفعنا عند الله، وإنما الدنيا فإنا نلناها بسيوفنا "**[٣١].

وبالرغم من كل ذلك فإن الحضور الديني كان قويا في البلاط الزياني ولدى السلاطين ،وكان عاما وشاملا في أوساط المجتمع بشرائحه المختلفة، وهي ميزة العصر في العالم الإسلامي عموما، وكانت الدعوة إليه والحث عليه والعمل به ونشره مظهرا من مظاهر الحياة في المجتمع ومذهبا من مذاهب سياسة الدولة، تترجمه في الجوانب المختلفة من الحياة وتضعه موضعا عمليا في حياة المجتمع ومسيرته وفي أعمال الدولة وانشغالاتها، وتسجله في منشآتها الدينية والمدنية والعسكرية وخاصة في المساجد والمدارس والأضرحة سواء أضرحة نخبة المجتمع من الحكام والشخصيات، أو العلماء والفقهاء والصلاح.

وكان الإنشغال بالروح الدينية يتخذ عند الحكام مظهر التقرب من النخبة الدينية من العلماء والفقهاء والإكثار من زيارتهم ومجالستهم واستقبالهم في البلاط ودعوتهم من القاصية للقدوم على المدينة والإقامة بها وإقامة الحفلات الدينية في الأعياد والمواسم في البلاط ومشاركة الناس والعامة في المساجد والمدارس والزوايا[٣٢] .كما كان ذلك وسيلة القصد منها الدعاية للسلاطين في أوساط المجتمع وبين نخبه العلمية والفقهية، فرضا العامة عليهم من رضا نخبتها المؤثرة فيها، فهي التي تشهد لهم بالصلاح والقيام على الدين والحفاظ على العقيدة ، فيحظى السلاطين بتقبل المجتمع لهم ولمشاريعهم، وهو ما يمكن الوقوف عليه في الكتابات التسجيلية في جامع سيدي أبي الحسن، **فالدلالات الدينية** تأتي عند الزيانيين في **المقام الأول،** فقد سُجلت آيات عديدة من سور القرآن، في واجهة المحراب وبداخله تحث على العبادة وإقامة الصلاة والحفاظ عليها، مثل

---

٢٩ عنه ينظر/ أبو بكر بن عمر الصنهاجي المعروف بالبيدق،كتاب أخبار المهدي بن تومرت،تحقيق عبدالحميد حاجيات،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر١٩٧٤،د.عبدالله علي علام، الدولة الموحدية باتلمغرب في عهد عبدالمؤمن بن علي،دار المعارف بمصرالقاهرة ١٩٧١،ص.٤٣ ـ ٨١.

[٣٠] يحي بن خلدون،مصدر سابق ،ص.٢٠٥)،

[٣١] عبد الرحمن بن خلدون، مصدر سابق، مج٧، ص.١٤٧ .

[٣٢] عن علاقة السلاطين بالفقها والعلماء وزيارتهم واستقبالهم، واعتناء السلاطين بالمظاهر الدينية والاحتفال بها، أنظر يحي بن خلدون، مصدر سابق،ص.٢٤٠،٢٠٥ أبو عبدالله التنسي،مصدر سابق، ص.١٢٥ـ١٤١،١٢٦ ـ ١٤٢، ١٦٢.

الشريطين على تاج عمودي المحراب، حيث اختار الفنان للتاج الأيمن، الآية التي تدعو للحفاظ على الصلاة: **" حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين"**[٣٣] أما التاج الأيسر فقد فضل له الفنان الآية التي تحث على إقامة الصلاة: **"وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات"** دون أن يكمل الآية[٣٤] وكأني بالفنان يلمح ولا يصرح،وفي نفس السياق والمعاني والدلالات الدينية يورد الفنان الآيات المتصلة **بتفضيل المؤمن العابد المتبع لملة ابراهيم دينا،** فينقش في شريط مثمن الشكل حول قبيبة المحراب الداخلية الآيات التالية بعد التعوذ والبسملة والصلاة على محمد: **" ومن أحسنُ دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا* واتخذ الله ابرهيم خليلا* ولله ما في السموات وما في الأرض * وكان الله بكل شيء محيطا * صدق الله العظيم".**[٣٥]

ويواصل الفنان **داخل المحراب** في شريط مضلع خماسي أسفل البائكة المعقود المندمجة الحاملة للقبيبة السالف ذكرها ، فيسجل كتابة أخرى ذات معاني دينية متصلة بمعاني الآيات السابقة من حيث التذكير **بفلاح المؤمن القائم على صلاته،** الحافظ للسانه، المؤدي **لزكاته،** وذلك بعد التعوذ والبسملة والصلاة على محمد: **"قد أفلح المؤمنون* الذين هم في صلاتهم خاشعون* الذين هم عن اللغو معرضون* والذين هم للزكاة فاعلون* والذين هم لفروجهم حافظون"**[٣٦].

أما **واحهة المحراب** وما يعلوه فهي حافلة بإطارات وأشرطة وبحور كتابية كثيرة بالخطين الكوفي والنسخي، تحمل العديد من المعاني **والدلالات الدينية،** منها آيات منقوشة في إطار المحراب في شريط على شكل طرة مستطيلة تطوق العقد وأركانه ،نصهما بالخط النسخي المغربي ما يلي: **" أعود بالله العلي العظيم من النار ومن الشيطان الرجيم وصلى الله على سيدنا محمد * يأيها الذين آمنوا اركعو واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخيرلعلكم تفلحون * وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيد عليكم * "**[٣٧].

ويطوق سنجات العقد **معاني دينية أخرى** كآية النور المنبعثة من المشكاة وهي نور الله الساطعة على الكون، وفضل بناء المساجد وتعميرها: **"الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دُرّيٌ يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها يُضيء ولولم تمسسه نار نور على نور يَهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم"***

---

[٣٣] الآية ٢٣٨،سورة البقرة
[٣٤] الآية ١١٤ من سورة هود.
[٣٥] الآيتان ٢٤ ـ ٢٥ سورة النساء
[٣٦] الآيات الأولى من سورة المؤمنين
[٣٧] الآية ٧٧ ـ٧٨، سورة الحج.

في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال* رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ..." [٣٨] ،وهي منقوشة في الإطار الأول الذي يلي عقد المحراب في واجهته، ويليه إطار آخر إلى الخارج منقوش بدلالة دينية أخرى تلخصها على الوجه التالي:

" أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما " ، وآيتان من الذكر الحكيم تحثان المسلمين على **التقوى والإعتصام بحبل الله وعدم التفرق** وتدعوانه **لذكر نعمة الله في تأليف القلوب وإتقاء المؤمن من النار** وهي على الشكل التالي /

" أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما* يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ". [٣٩]

ويبدأ الفنان نفس الإطار بجزء من الآية ٣٣ من سورة التوبة:**"هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله"** ويكمل الإطار بجزء آخر من الآية ٤٥ من سورة النساء**" وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا"** وهي البداية لنفس الآية : **والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا** [٤٠]

وفي شريط أفقي بواجهة المحراب نفسه ويمتد عموديا في الجانبين الأيمن والأيسر، كتابات قرآنية ذات دلالات سياسية بالخط النسخي المغربي .

ففي **الشريط العمودي الأيمن** النص التالي:

"أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما* ربنا

(تكميلة للآية ٧ من سورة غافر: **" الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت...**)وسعت **كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ".** [٤١]

الشريط الأفقي: "... وا**دخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذريتهم إنك أنت العزيز الحكيم* وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم "** . [٤٢]

---

[٣٨] الآية ٣٥ ـ٣٦ـ٣٧سورة النور

[٣٩] الآية ١٠٢، ١٠٣ سورة آل عمران

[٤٠] بداية الآية ٣٣ من سورة التوبة ويكمل الإطار بجزء آخر من الآية ٤٥ من سورة النساء.

[٤١] تكميلة للآية ٧ من سورة غافر.

[٤٢] سورة غافر، الآيات ٧،٨،٩.

الشريط العمودي الأيسر/ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون* نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدّعون"**[٤٣].

ونعتقد أن معاني ودلالات بعض هذه الآيات الأخيرة كانت تعبر عن الوضع السياسي المضطرب للدولة الزيانية : كالإعتصام بحبل الله وعدم التفرق والتأسي بموالاة الله ونصره، إضافة إلى ما تشير إليه تلك المعاني الدينية.

والمعروف أن الوضع السياسي للدولة الزيانية بعد وفاة مؤسسها يغمراسن سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م وقيام ابنه أبو سعيد عثمان خلفا له، قد نجم عنه تحرك بعض القبائل كقبيلة مغراوة وتوجين، وهما من بني عمومة الزيانيين لانتسابهم إلى الفرع الزناتي ،ولكن ولاءهما كان لأعدائهم المرينبين.

ففي المناطق الشرقية في الشلف والونشريس رفضت قبيلتي: مغراوة وتوجين[٤٤] سلطة الزيانيين مستغلتين الوضع الجديد الناجم عن وفاة عدوهما يغمراسن، فعاثت في المنطقة فسادا معتمدتين في ذلك على التشجيع المادي والمعنوي للمرينيين، وهم الذين يشكلون التحدي الثاني لأبي سعيد عثمان غي غرب تلمسان، فبعد فترة من السلم سعى إليها السلطان الزياني الجديد تنفيذا لوصية والده، ومكنه منها السلطان المريني أبو يعقوب بن يوسف ، عادت الشحناء بينهما بالتحرش الدائم للسلطان المريني بأبي سعيد وترديده الغزو والحملات على العاصمة الزيانية تلمسان، كما حدث سنة ٦٨٩هـ/١٢٩٠م وسنوات ٦٩٥ ـ٦٩٦هـ/١٢٩٥ ـ ١٢٩٦، التاريخ الذي بني فيه الجامع الذي نحن بصدد كتابته ،فكانت بذلك جهود قبيلة مغراوة وتوجين متظافرة مع جهود المرينيين في ضرب أبي سعيد عثمان ومحاولتهما القضاء على الدولة الزيانية، كل منهما تدفعه أغراض مختلفة: **قبيلتي شلف والونشريس،** من أجل التخلص من سيطرة الزيانيين،والإستقلال بمناطقهم، **والمرينيون** من أجل تحقيق مشروعهم السياسي في بلاد المغرب بأكمله.

وكان السلطان الزياني يواجه الخطرين بأسلوبين مختلفين: **الخطر المريني** ويكتفي فيه بالتزام أسوار المدينة دون مواجهته في الميدان، وهي نصيحة والده إليه، أما **الخطر القبلي** لمغراوة وتوجين، فقد كان يواجهه في الميدان، محققا عليهم انتصارات متتالية عديدة[٤٥] ويبدو أن عبارة **الإعتصام بحبل الله والتآلف وموالاة الله وطلب نصره** هي معاني ودلالات تعبر عن انشغالات البلاط الزياني وشخص أبي سعيد عثمان منشيء الجامع، فقد كان دائم المحاولة في طلب ود القبيلتين رغبة منه في ضمهما إليه،

---

[٤٣] سورة فصلت الآية ٣٠، ٣١.

[٤٤] عن هاتين القبيلتين وموطنهما وأحوالهما، أنظر/ عبدالرحمن بن خلدون، مصدر سابق،مجـ٧،ص.٣١٨، ٥٠.

[٤٥] يحي بن خلدون ،مصدر سابق،ص.٢٠٨، ٢٠٩).

وعندما يفشل يلجأ معهما إلى الحرب، وكان ولاءهما الدائم إلى المرينيين [٤٦].أما نظرة الحلف القبلي من بني عبدالواد في صراعه مع المرينيين، فقد كانوا يرون فيه نوعا من الجهاد ، لدرء ظلم بني عمومتهم،والدفاع عن كيان دولتهم،وحماية وجودهم، ومع ذلك فإنهم لم يصرحوا بذلك في نقوشهم وكتاباتهم التسجيلية والأثرية لعدم مباشرتهم الجهاد في سبيل الله ضد النصارى في الأندلس،عكس السلاطين المرينيين الذين جاهروا بصفة الجهاد وسجلوها لأنفسهم كمجاهدين في سبيل رب العلمين في النقوش ولكتابات مثلما سوف نرى في جامعهم بسيدي أبي مدين.

جامع سيدي أبي مدين المريني :

يعدّ هذا المسجد كالمسجد السابق من مساجد تلمسان الفخمة عمارة وفنا، وهو يحتوي بدوره على عدد كبير من الكتابات تفوق ما في المسجد الأول، وتحمل بدورها معاني ودلالات متنوعة، يُستخلص منها أوضاعا دينية وسياسية واجتماعية، كانت قائمة في النصف الأول من القرن ٨هـ/١٤م، وتتفق كتابات هذا المسجد جزئيا مع كتابات المسجد السابق في بعض معانيها ودلالاتها الدينية مما جعل بعض الآيات فيهما متطابقة، أما في جانبها السياسي والاجتماعي فهي مختلفة باختلاف مشاريع الدولتين وانشغالاتهما، ويمكن تقسيم النقوش الكتابية في سيدي أبي مدين من حيث استخدامها إلى قسمين:

الأول/ يشغل الواجهة وجدران السقيفة

الثاني/ واجهة المحراب وجوفه

أما **القسم الأول**: فإن الكتابات فيه تحمل معاني ودلالات **سياسية** في **المقام الأول** نقشها الفنان في **الواجهة الرئيسية والمدخل الأساسي للمسجد**، والواجهة بمدخلها تحفة فنية رائعة بزخارفها المتنوعة وكتاباتها الرقيقة، ويبدو أن الفنان كان يقصد الإيحاء للمصلين المترددين على الجامع بتلك المعاني والدلالات التي سجلتها عبارات وآيات قرآنية تشير إلى **تأييد الله** للسلطان، و**الدعاء** له **بالنصر** و**التمكين** و**بالفتح المبين**، ويتضح ذلك فيما يلي:

ففي شريط مستطيل يعلو عقد المدخل الخارجي المرتفع للمسجد، شريط منقوش بخط نسخي رقيق على أرضية تتداخل فيها العناصر الزخرفية النباتية والهندسية مع الحروف الكتابية، ومُحتوى الشريط كتابة تذكارية تأسيسية للمسجد كالتالي: **" الحمد لله وحده أمر بتشييد هذا الجامع المبارك مولانا السلطان عبد الله علي ابن مولانا السلطان أبي سعيد عثمان ابن مولانا السلطان أبي يوسف يعقوب ابن عبد الحق أيده الله ونصره عام تسعة وثلاثين وسبعماية نفعهم الله به"** .

[٤٦] عبدالرحمن بن خلدون، مج٧،ص.١٢٢،١٢٠ .

وأسفل منبتي عقد المدخل مباشرة، سُجلت عبارات تحمل معاني مماثلة في شريطين ضيقين:

الأيسر منهما ونصه: **"هذا ما أمر به مولانا أبو الحسن عبدالله علي"**

والشريط الأيمن نصه: **" أيده الله بالنصر والتمكين والفتح المبين"**[٤٧]

وتتردد كثيرا عبارات ومعاني **النصر والدعاء** به أو طلبه في آيات قرآنية كثيرة، يمكن الوقوف عليها في جدران سقيفة المدخل في عدة حواشي وأشرطة، مثل الحاشية العليا للحائط الشرقي، وتتألف من عدة أشرطة، أهمها شريط يحمل جزءا من آية قرآنية تذكر: أن النصر من عند الله ونصها كالتالي:**" وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم "**[٤٨] وهي تتمة للآية الكريمة ١٢٦ من سورة آل عمران: **وما جعله الله إلآ بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به)** ، وكأني بالفنان يوحي لأهل تلمسان أن الله جعل السلطان أبي الحسن بشرى لهم لتطمئن قلوبهم إليه، وأن الله هو الذي نصره وأن من نصره الله لا يرفض ولا يُخالف،ومع أن تكملة الآية غير منقوشة ولكن هذه التكملة لأتخفى على أهل تلمسان من الفقهاء والعلماء والصلحاء وربما كثير من عامة الناس، وهي: **وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم "** .

القسم الثاني/ واجهة المحراب وجوفه: ويتكرر هذا النوع من الآيات القرآنية التي تشير إلى **الفتح والنصر** مرة أخرى في واجهة المحراب، مثلما يتضح في الشريط العمودي الأيسر بالحاشية المستطيلة الوسطى، حيث نجد فيه ما يلي:**" نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين"**[٤٩](وهي تكملة لبداية الآية ١٣ من سورة الصف: **وأخرى تحبونها**....)، ويعود الفنان في الإطار المحيط بالمحراب لينقش نصا كتابيا يحمل معنى النصر أو النصر والفتح وهو كالتالي :**" وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم"** [٥٠]،ويكرر الفنان جزئيا الآية السابقة في نفس الإطار بالصيغة التالية **"نصر من الله وفتح قريب "**[٥١] .

وسجلت الكتابات بالمحراب آيات قرآنية ربما تعبر عن **طبيعة** السلطان أبي الحسن المريني **وشخصيته** وما كان يضطلع به من **المهام** و**الأولويات** في **نشاطاته** و**أعماله في تسيير الدولة**، وتصريف شؤونها،ومنها **البناء والتعمير**، و**بناء المساجد وتعميرها** على وجه الخصوص، ويتضح ذلك فيما يلي من الآيات التي ترصع الجزء الأيسر من الحائط الجنوبي لسقيفة الدخول: **"أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى**

---

47 .R.Bourouiba, Les InscriptionsCommemoratives …,P.128,140

٤٨ هي تتمة للآية الكريمة ١٢٦ من سورة آل عمران

٤٩ هي تكملة لبداية الآية ١٣ من سورة الصف: وأخرى تحبونها....).

٥٠ هي نهاية الآية ١٢٨ من سورة آل عمران.

٥١ جزء من الآية ١٣ من سورة الصف .

أولائك أن يكونوا من المهتدين" [٥٢]، وهو تقريبا نفس المعنى المسجل بالشريط العمودي الأيمن من الحاشية المستطيلة الوسطى لإطار المحراب، ونصها: **"أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال**[٥٣] ، والمعروف أن السلطان أبي الحسن المريني كان من أنشط السلاطين في البناء والتعمير وتشييد المرافق العامة والخاصة، ومنها المنشآت الدينية والعلمية والعسكرية، لدرجة أن خصص ابن مرزوق في مسنده أربعة أبواب كاملة قدم فيها ملخصا عبارة عن إحصائية بما شيده هذا السلطان في المدن المختلفة في المغربين الأقصى والأوسط من المرافق والمنشآت العامة والخاصة، ومن بينها المساجد والجوامع والصوامع والمدارس والزوايا والبيمارستنات والقناطر والجسور وتعبيد الطرق، فضلا عن منشآت البر والإحسان من السقايات والميضآت.[٥٤]

وكانت **أعمال الجهاد** من الأسس الحيوية في الدولة المرينية ، فقد ورث المرينيون عن الموحدين من بين ما ورثوه، مشاكل الأندلس، وكان النصارى قد استأسدوا على المناطق الإسلامية ومدنها وقراها مغتنمين الأوضاع التي نجمت عن هزيمة المسلمين في العقاب سنة (٦٠٩هـ/١٢١٢م) وما تلى ذلك من ضعف الموحدين وانحلال عقد دولتهم، وانشغال بلاطهم عن الأندلس بالصراع الداخلي على الحكم ومواجهة الزعامات الجديدة في المغرب من الحفصيين والزيانيين وخاصة صراعهم مع المرينيين ثم سقوطهم على يدهم أخيرا سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩م[٥٥]

والثابت أن المرينيين تزعموا **جهاد النصارى** في الأندلس إلى جانب بني الأحمر، وبذلوا جهودا كبيرة في مواجهة المد المسيحي، ومقاومة حروب الإسترداد لقشتالة وأراغون، وتبادلوا معهم النصر والهزيمة وخاصة في الفترة الممتدة من ٦٥٦هـ/١٢٥٨م إلى ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م وخاصة في عهد أبي يعقوب بن عبدالحق (٦٥٦ -٦٨٥هـ/١٢٥٨ -١٢٨٦م) وأبو يعقوب يوسف بن يعقوب(٦٨٦ - ٧٠٦هـ/ ١٢٨٦ -١٣٠٦م) ثم عهد السلطان أبي الحسن علي بن عثمان ٧٣٢(-٧٣٩هـ/ ١٣٣١ - ١٣٤٨م)[٥٦].

فقد تأججت **أعمال الجهاد** في الأندلس بعد استيلاء السلطان أبي الحسن على تلمسان، وتوحيد جهود المغربين الأوسط والأقصى، وما تبع ذلك من تمتع المرينيين بطاقات جديدة بشرية واقتصادية كبيرة فضلا عن استنجاد بني الأحمر بهم، وماكان يتميز به السلطان أبي الحسن من شخصية طموحة وعاطفة دينية وحب للجهاد وإدراكه بالأخطار

---

[٥٢] الآية ١٨من سورة التوبة.

[٥٣] الآية ٢٦ من سورة النور.

[٥٤] المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، ص.٤٠١ -٤١٨

[٥٥] محمد عبدالله عنان، مرجع سابق،ص.٣٢٨.، ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص.٣٢٦٣٤١،٣١٦،٣٣١،٢٨١.

[٥٦] عن ذلك ينظر ما يلي/ السلاوي، مصدر سابق،جـ٣،ص.٣٧ -٧٠،٥٨،٥٥،٤٥،٤٢.

المحذقة ليس بالأتدلس وحدها، ولكن بالأندلس والمغرب معا أمام التقدم السريع والمتواصل للنصارى الأسبان في أراضي المسلمين بالأندلس والشواطيء الجنوبية للبحر وجبل طارق والجزيرة ،بحيث لم تعد الشواطيء المغربية نفسها بمنأى عن هجماتهم[٥٧] ، فقد أثبتوا غير مرة قدرتهم على الوصول إلى الشواطيء المغربية نفسها[٥٨]،وهو ما دفع بالسلطان أبي الحسن أن يأمر ابنه أبي مالك أمير الثغور سنة ٧٤٢هـ / ١٣٤١م بإعداد الجيش والعبور إلى الأندلس،حيث توغل في الأراضي القشتالية محققا انتصارات سريعة وحاسمة، وخلال عودته محملا بالغنائم والأموال الضخمة رابط في أرض العدو،ورفض نصيحة قادة جنده بالتخندق لقصر نظره وقلة خبرته العسكرية في ضفة الوادي بالأراضي الإسلامية المتاخمة لدار الحرب، وذلك في الوقت الذي بلغتهم الأخبار باتباع العدو لهم حيث فاجأهم في صبيحة أحد الأيام من نفس السنة، وألحق بهم الهزيمة وقتل فيها ابن السلطان أبي مالك نفسه[٥٩] ، وتفجع السلطان لمقتل ولده، وأخذ يعد العدة للعبور بنفسه،فالتحق بسبتة وجعلها قاعدته، وقدم أسطوله لمواجهة الأسطول الأسباني الذي احتل المضيق لمنع المسلمين من العبور، فحقق الأسطول المريني انتصارا كاملا على أسطول العدو، واستولى على قطع كثيرة منه حولها إلى سبتة، وعبر أبو الحسن على إثر ذلك لمهاجمة طريف بمساعدة جيش بني نصر بقيادة أبا الحجاج يوسف بن الأحمر، فضيقوا الخناق على المدينة واستولوا عليها، وعسكر السلطان المريني بقربها في الوقت الذي قطع فيه أسطول العدو خطوط الإمدادات والتموين على المسلمين حتى نفذت الأقوات، وقلت الأعلاف وأصاب المسلمين كثير من العنت والتعب، وفي هذا الوقت اقتضت خطة العدو الهجوم، فأقبل ألفونسو١١ ملك قشتالة في جيوش جرارة، قدم فيها فرقة تسربت ليلا داخل المدينة خفية وفي غفلة من الحراس، وكمن بعض الجند فيها دون أن يُكتشف أمرها، وعند بداية المعركة في اليوم الموالي الإثنين ٧ جمادى الآخرة سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤١م برزوا من خلف الصفوف، وفاجأوا معسكر السلطان المريني، فأضرموا النار فيه واستلحموا من فيه من الحند والحراس وحريم السلطان، فاختلت صفوف المسلمين،ولحقت الهزيمة بهم ،وأسر تاشفين بن السلطان، ونجا أبو الحسن نفسه بصعوبة إلى الجزيرة الخضراء ومنها إلى سبتة[٦٠].

اعتبرت هزيمة طريف كارثة على المسلمين والأندلس ومرادفة في مأساتها لهزيمة العقاب، استولى النصارى على إثرها على مناطق جديدة متعددة، وتخلى لهم المسلمون على مناطق أخرى بسبب ضغطهم عليهم،ومن بينها طريف والجزيرة

[٥٧] محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب والأندلس في العصر المريني،ص.١١٣.
[٥٨] ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص.٣٠١، السلاوي، مصدر سابق،جـ٣،ص.٣١).

[٥٩] السلاوي، نفسه، جـ ٣، ص.١٣٤ ـ ١٣٥.
[٦٠] السلاوي، المصدر السابق، جـ ٣، ص.١٣٧، عبدالرحمن بن خلدون، العبر، مجـ ٧، ص.....).

الخضراء،ومن نتائجها توقف الجهاد، وتقرر مصير الأندلس نهائيا بعدها، واتجهت بذلك أنظار السلطان أبي الحسن لتحقيق مشروعه السياسي في استكمال توحيد المغرب تحت رايته بغزوه افريقية الحفصية .

كان **الجهاد المريني** في الأندلس بصفة عامة **وجهاد أبي الحسن** فيها بصفة خاصة أحد العوامل التي أضفت على الدولة المرينية **طابع الجهاد في سبيل الله** والمجاهدة في سبيل الإسلام والمسلمين والمدافع عن الأندلس، كما طُبعت شخصية أبي الحسن بسبب ذلك بطابع الجهاد، فوُصف بالمجاهد في سبيل رب العالمين كما وصف غيره من السلاطين بهذه الصفة، حتى وإن لم يباشروا الجهاد بأنفسهم أو أنهم لم يعبروا للأندلس وإنما اعتمدوا على ماورثوه عن آبائهم وأجدادهم في هذا المضمار مثل أبي سعيد[٦١] ، وهو طابع وصفة تجلت في الكتابات الأثرية في المؤسسات التي أنشأها، ومنها جامع سيدي أبي مدين بالعباد بتلمسان والذي نحن بصدده،إذ تشير إلى فكرة الجهاد بعض الآيات،منها الآية المنقوشة في الشريطين الأفقي والعمودي الأيسر بالحاشية المستطيلة بالجزء الأعلى من إطار المحراب،ونصها:**"أجعلتم سقاية الحج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل*الله لايستوون عند الله والله لايهدي القوم الظالمين* الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولائك هم الفائزون**[٦٢].

كما كان لهذه **الأعمال الجهادية** لأبي الحسن بالأندلس صدى قويا في الكتابات الأثرية في غير جامع سيدي أبي مدين، مثلما يتضح ذلك في منشآته بفاس، وفي جامع آخر شيده بمدينة مستغانم بالمغرب الأوسط [٦٣]،ويتألف النص التأسيسي من ثمانية سطور ،وأهم السطور التي تدل على معنى جهاد أبي الحسن هي: س١ ـ الحمدلله رب العالمين والعاقبة للمتقين أمر ببناء هذا الجامع المبارك سيدنا

س٢ ـ ومولانا السلطان الأعدل عبدالله علي أمير المسلمين **المجاهد في سبيل**

س٣ ـ **رب العالمين أبو الحسن** .....

س٧ وجعل **ملوك الشرك خوله وعبيده** وذلك في عام اثنان وأربعين وسبعماية[٦٤] .

---

[٦١] عن فترة حكمه،و الأحداث التي جرت في عهده ينظر/عبالرحمن بن خلدون،مصدر سابف،مج٧،ص.٥٠٢ ـ٥٢٤.)،

[٦٢] الآية ١٩ـ ٢٠ من سورة التوبة

[63] A. BEL, Les inscriptions arabes de Fés, thireau, Mostaganem et ses environs, p.115, M.Belhamissi, Histoire de Mostaganem, Alger 1976 pp.47-48 –)

[٦٤] عن هذا النقش أنظر/ R. Bourouiba, Les inscriptions commemoratives des mosquées d'Algerie, O.P.U 1984,pp.145_145.

يمكن أن نستنتج من هذه الآيات العديدة في جامع سيدي أبي مدين مجموعة من الدلالات المختلفة السياسية والدينية والاجتماعية، القصد منها جميعا التأثير على المجتمع التلمساني بنخبه وخاصته وعامته، وحمله على الرضا بالحكم المريني، وإظهار السلطان بمظهر الرجل الورع التقي القائم على خدمة الدين والجهاد في سبيل الله والمحب للعلم والعلماء،فهو يقوم بزيارتهم في مساجدهم ورياضهم وخلاويهم يفتح لهم بلاطه فيغدق عليهم يتقرب منهم ويشاركهم اهتماماتهم العلمية، ويبني لهم المساجد والمدارس والزوايا [٦٥] من أجل تقبل المجتمع لمشاريعه الساعي إلى تحقيقها في المغرب والأندلس، أو على الأقل في المغرب من حيث إعادة توحيده تحت رايته، مثلما كان أيام الموحدين، وذلك بالرغم من أن تحقيق هذا المشروع يتطلب القضاء على الوجود السياسي والأسري للزيانيين بداية[٦٦]، وللحفصيين أخيرا[٦٧] ، ولم يكن ذلك بالأمر الخفي على الزيانيين، مما دفعهم دوما إلى مقاومة الغزو المريني بقوة، ومواجهة توسعهم بكل الطرق والوسائل، ومع أنهم فشلوا مرات عديدة في الحفاظ على دولتهم وحماية استقلالهم ولكنهم كانوا لايلبثون أن يعودوا إلى إحيائها وإعادة بناء كيانها .

وأخيرا هناك شريطين على شكل طرتين من الكتابات بالخط الكوفي يحتلان موضعا أسفل منبتي عقد المحراب،تختلط فيهما حروف الكتابة بالعناصر النباتية والهندسية، ويمثلان **شعار الدولة المرينية ومذهبها السياسي والديني**، ومحتواهما كالتالي:

الشريط الأيمن / **" لا إله إلا الله محمد رسول الله** :.

الشريط الأيسر/ **" الله ربنا محمد رسولنا القرآن إمامنا."**

فالشريط الأول يتضمن شهادة التوحيد التي تميز المؤمن على غير المؤمن وتعلن وحدانية الله والإقرار بها وأن لا إله غيره ، متبوع بالإعتراف بنبوة محمد وتأكيدها وأنه رسول الله أرسله لكافة الناس.

أما مضمون **الكتابة الثانية**، فهي تشير إلى المرجعية الدينية والمذهبية للدولة المرينية، وهي تأكيد للشريط الأول، من حيث الإعتراف بتفرد الله بالوحدانية، كما تؤكد أن محمد مرسول من الله، وأن إمام المرينيين هو القرآن، وهذا الشعار الأخير جاء ليناقض في جزئه الأخير الشعار الموحدي القائم على الدعائم الثلاثة وهي: **الله ربنا محمد رسولنا المهدي إمامنا** .وذلك أمر طبيعي فالمرينيين صارعوا الموحدين،موسمين أياهم بالفساد والتخاذل، ومن بين فسادهم من وجهة نظرهم عصمة إمامهم محمد بن تومرت،وليس هناك اختلاف كبير بين الموحدين والدويلات التي أتت بعدهم في

[٦٥] ابن مرزوق،مصدر سابق،ص.٤٠٦،٤٠١.

[٦٦] عبدالحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني،ص.١٩ ـ ٢١.

[٦٧] نفسه،ص.٢٣ ـ ٢٤.

المغرب، من حيث فكرة التوحيد والأخذ بالمذهب السني المالكي، إنما الإختلاف يكمن في الإمامة والعصمة والمهدوية، الأولى عدها ابن تومرت ركنا سادسا من أركان الإسلام من حيث وجوب اعتقاد الأمامة، والمهدوية ماثل فيها فيها الشيعة.[٦٨]

مقارنة بين المضامين والدلالات في الكتابات الزيانية والمرينية في المسجدين:

يتضح في مجال المقارنة بين النقوش الكتابية الزيانية في **مسجد سيدي أبي الحسن**، والكتابات المرينية في **جامع سيدي أبي مدين** اختلاف واضح في مضمونها ودلالاتها السياسية بصفة خاصة ولكن المضامين والدلالات الدينية والاجتماعية متشابهة عموما وذلك لتشابه مجتمع الدولتين، بما فيه حكامهما، في طبيعته وعقيدته ومذهبه الديني القائم على المذهب المالكي.

فالكتابات الزيانية تحمل مضامين **دينية في المقام الأول** تدعو إلى التقوى والصلاح (الآية ٢٣٨ من سورة البقرة، والآية ١١٤ من سورة هود) ويتصل بالمضامين الدينية **العبادة** وعمادها الصلاة ويتضح ذلك في (الآية ٣٥ و٣٧ من سورة النور، والآية ١٠٢ من سورة آل عمران، والآيات ١ و ٣ من سورة المؤمنين، والآية ٧٧ من سورة الحج، والآية ٨ من سورة غافر) إضافة إلى ذلك هناك دلالات دينية من الدعوة إلى الدين والتزام قواعده واتباع ملة إبراهيم وهو ما يتضح في (الآية ١٢٥ ـ١٢٦ من سورة النساء، والآية ٤٨ من سورة الحج، والآية ٧ ـ٩ من سورة غافر) ويرتبط بذلك الدعوة لتلاوة القرآن والإنصات إليه (الآيات ٢٠٤ ـ٢٠٥ من سورة الأعراف)، وقد نصت كتابات المسجد على أهمية **بناء المساجد وتعميرها** (الآية ٣٧ من سورة النور).

أما فيما يتعلق بالدلالات **السياسية** التي يمكن استنتاجها من الآيات القرآنية والتي تعبر عن وضع الدولة الزيانية في هذه الفترة فتقوم على **فكرة الاعتصام بحبل الله والتآلف وعدم التفرق** (الآية ١٠٢ من سورة آل عمران) ويتصل بها الكفاية **بموالاة الله ونصره** (الآية ٤٥ من سورة النساء، والآية ٣١ من سورة فصلت .

والواقع أن مضامين كتابات هذا المسجد ودلالاتها تُعد نموذجا لمضامين كتابات زيانية في منشآت أخرى، فهي جميعا تركز على العقيدة وما يتصل بها من الإيمان وما يفرضه من أعمال ومعاملات[٦٩] .

وبالمقابل فإن **الكتابات المرينية** في **جامع سيدي أبي مدين** تؤلف مضامين ودلالات أكثر ثراء وتنوعا مقارنة بالكتابات الزيانية، وهي تحمل مضامين **سياسية**

---

[٦٨] عبدالله علي علام، مرجع سابق، ص.٢٣٢ ـ ٢٣٣.

[69] R. Bourouiba, L'art religieux musulman , pp. 131_ 133.

بالدرجة الأولى ثم دينية واجتماعية، وهذه المضامين الأخيرة متشابهة مع مثيلتها في الكتابات الزيانية في جامع سيدي أبي الحسن.

فأما المضامين **السياسية** فتعكسها عبارات الدعاء للسلطان المريني بالفتح المبين وتأييد الله له ونصره على عدوه، وتمكينه منه، مثلما يتضح ذلك في الآيات التالية: (١٢٦ من سورة آل عمران، الآية ١٣ من سورة الصف وذكرت في ثلاثة مواضع).

وتختلط المضامين السياسية والدينية في العبارات و الآيات التي يستدل منها على فكرة **الجهاد في سبيل الله** مثلما تعكسها عبارات وصف السلطان أبي الحسن **بالمجاهد في سبيل الله** في الشريط التأسيسي فوق عقد المدخل(الآية ١٩ من سورة التوبة) .

إضافة إلى ذلك فقد وردت في الآيات القرآنية معاني دينية ذات دلالة سياسية تلمح للسلطان وأعماله، الغرض منها الدعاية له والتأثير من خلالها على المجتمع التلمساني، ويستخلص ذلك من الآية ٨٨ من سورة هود، والآية ١٨،١٩،٢٢ من سورة التوبة، والآيتان ١٢٥ و١٢٦ من سورة النساء، والآية ١٩١ من سورة آل عمران .

أما الدلالات الدينية وربما السياسية أيضا المتعلقة بأعمال السلطان ونشاطاته والتي يستدل عليها من الآيات التي تعبر عن بناء المساجد وتعميرها ،وهي في ذلك تتلاقى وتتطابق مع نفس المعاني والدلالات والآيات المستخدمة في الكتابات الزيانية في مسجد سيدي أبي الحسن ، وهي على التوالي (الآية ١٨ من سورة التوبة، وذُكرت في أكثر من موضع، والآية ٣٦ من سورة النور) .

وأخيرا هناك آيات ذات دلالات دينية تعبر عن ذهنية المجتمع وأوضاعه وتحث المسلم على الإيمان وخشية الله واتباع ملته والحفاظ على الصلاة وإيتاء الزكاة، ويتجلى ذلك في الآية ١٢٥ من سورة النساء، والآيات ١٩ ـ٢٢ من سورة البقرة، والآية ٢٢ من سورة آل عمران، وتلتقي هذه المعاني والدلالات التي تخص أوضاع المجتمع مع نفس المعاني والدلالات التي أوردتها النصوص الكتابية في المسجد الزياني السابق ذكره .

وبعبارة موجزة فإن المضامين الكتابية المرينية تركز على الجوانب السياسية أولا والدينية والاجتماعية ثانيا، بينما تركز مضامين الكتابات الزيانية على الجوانب الدينية أولا والاجتماعية والسياسية ثانيا، وإذا كانت المضامين السياسية مختلفة فيهما فإن الدلالات الدينية التي تعبر عن الوضع الاجتماعي متشابه إلى درجة التطابق في كليهما، ولا شك أن ذلك يعود للعقيدة الواحدة التي تسود المجتمع المغربي وما يتميز به من انشغالات دينية واجتماعية واحدة.

المحور الثالث/ التحليل الأبجدي للكتابات الكوفية والنسخية في الجامعين(جداول١٨-٢٢):

استخدم في زخرفة المسجدين نوعان من الخط: الخط الكوفي والخط النسخي، وقد استخدم كلاهما في تسجيل المضامين المختلفة للكتابات ولم يقتصر أحدهما على مضمون محدد دون الآخر، وكان الفنان فيهما يلجأ إلى تنظيم مجال الكتابة تنظيما فنيا جماليا على شكل إطارات وأشرطة وبحور أكبر حجما وأكثر اتساعا بالنسبة للكتابة الكوفية وذلك بأسلوب يجعلها أكثر بروزا ووضوحا للمشاهد .

الخط الكوفي/ (جداول ٢٠-٢٢،شكل ١-٧، ١٥) وقد جرى على الخط والكتابة الكوفية في بلاد المغرب ما جرى عليه في بلاد المشرق، من حيث طبيعته ومظهره وأنواعه وتطوره وانتشاره في الزمان والمكان (د.إبراهيم جمعة، دراسة في تطور الكتابات الكوفية على الأحجار في مصر في القرون الخمسة الأولى للهجرة،دار الكتاب، القاهرة ١٩٦٩، ص.٧٨،٩٥ ـ ١٥٧،٩٦)، وكانت مصر في ذلك أحد الروافد ومركز تطور ومحطة عبور له إلى المغرب والأندلس، وقد استقر في بعض أمصار المغرب وحواضره الكبيرة كالقيروان وتلمسان وفاس، وعُرف باسم القلم أو الخط المغربي، وتسمى باسم المدن التي تلقفته وزادت في تجويده ونشره، فقيل عنه القلم أو الخط القيرواني [٧٠]أو التلمساني أو الفاسي أو الأندلسي القرطبي .

ومن هذه المدن انتشر الخط الكوفي إلى مختلف المراكز الحضارية للمغرب والأندلس، كقلعة بني حماد وبجاية بالمغرب الأوسط، وكان قدومه مع الفتوحات الإسلامية وتأسيس المدن، وخاصة في عهد الإمارات الأغلبية في افريقية ـ تونس [٧١] والرستمية والإدريسية، وازداد تطوره في العهد الفاطمي والزيري ـ الحمادي والحكم الزناتي المحلي بالمغرب الأقصى، حتى حلول المرابطين وقيام دولتهم .

الخط النسخي/ جدول ٢١،شكل٨-١٤ ،١٥-١٦، ٢١): وفي العهد المرابطي (٤٥٤ ـ ٥٤٧هـ/١١٣٥م) ظهر الخط النسخي كمادة زخرفية في المنشآت المعمارية إلى جانب الخط الكوفي. وذلك في رقبة قبة جامع تلمسان الكبير كمثال أول له، غير أن مظهره كان متطورا مما يرجح معه أن شواهده سابقة لهذا التاريخ، وتطورت إلى ماهي

[٧٠] عبدالعزيز الدالي، الخطاطة الكتابية العربية، مكتبة الــ بمصر، القاهرة ١٩٨٠، ص.٩٣.

[٧١] عن الخط الكوفي في افريقية في المنشآت وشواهد القبور، انظر/ B.Roy et P.Poissot, inscriptions arabe de Kairouan, vol. I-II, librairie GK.KLINCKSIECK, Paris 1950, G.Marçais, L'architecture musulmane d'occident, Paris 1954 .

عليه في تلمسان، وكان مضمونها تأسيس أو تجديد الجامع على يد علي يوسف بن تاشفين سنة ٥٣٠هـ/ ١١٣٥م .[٧٢]

إن الوجود العملي للخط النسخي في بلاد المغرب والأندلس يكتنفه الغموض، ولكننا نعرف أنه ظهر في المشرق في أوائل القرن ٥هـ/ ١١م، كاستخدام زخرفي على المنشآت والأدوات المختلفة، وفي مصر ظهر منذ أواخر العصر الفاطمي، والمرجح أنه انتقل من مصر إلى بلاد المغرب كالخط الكوفي، مع انتقال السكان وخاصة الفنانين والحرفيين بين المنطقتين للعيش والارتزاق، ومع التجارة وتبادل المنافع، وخاصة مع الحجيج المغاربة الذين كانت طريقهم الأساسية والدائمة مصر [٧٣].

العصر الموحدي/ وقد استمر الخط النسخي في الإستخدام الزخرفي التذكاري على المباني والمنتجات الفنية والصناعية إلى جانب الخط الكوفي في العصر الموحدي (٥٤٧ ـ ٦٦٧هـ/ ١١٤٧ ـ ١٢٦٨م) مثلما هو في جامع الكتبية وقصبة أودية بمراكش،وكان استخدامه بشكل أكثر اتساعا وكثافة .

غير أن الموحدين أهملوا المضامين التأسيسية في الكتابات بالخطين من ذكر لاسم المنشيء والإشادة به والدعاء له، وإنما سجلوا في مساجدهم ومنشآتهم الكتابات الدينية القرآنية [٧٤]توحيدا لله وتبجيلا له ونكرانا للذات.

لقد اتجهت الكتابات الأثرية في المنشآت مند العهد الموحدي انجاها فنيا جماليا في النوعين معا، وكانت رغبة الفنان فيهما إضفاء روح الفخامة والرقة والرشاقة على الحروف لإحداث الأثر الجمالي في نفس المشاهد من خلال تنظيمها تنظيما يتسم بالتوازن والانسجام، وقام بمزج حروف الكتابة الكوفية أو النسخية بعناصر زخرفية أخرى هندسية ونباتية من اللفائف والمراوح والزهيرات مع فرش أرضيتها بمظاهر أخرى من الزخارف الورقية أو الهندسية أو هما معا. بحيث اتجهت الأشرطة والاطارات والحشوات إلى أن تكون بداية للوحات فنية، بدت الروح الزخرفية واضحة عليها.[٧٥]

العصر الزياني ـ المريني/ وهذا الاتجاه الزخرفي في الخطين الكوفي والنسخي ظل متواصلا خلال العصرين الزياني والمريني بالمغربين الأوسط والأقصى متأثرين فيه بالموروث الموحدي مثلما يتضح من النماذج الكثيرة في منشآت تلمسان وفاس .

---

[٧٢] عن كتابة رقبة جامع تلمسان، أنظر/ رشيد بورويبة، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ترجمة ابراهيم شبوح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٧٩، ص.٦٥ ـ٦٦ .
R.Bourouiba, L'art religieux, P.83-84.

[٧٣] عن انتقال الخط الكوفي من مصر إلى المغرب وبالتالي النسخي، أنظر/ G.et W.Marçais, Les monuments..P.88

[74] H.Terrasse, Sanctuaires et forteresses Almohades, coll. Hesperis, larose Paris 1932, p.65.

[75] Ibid, P.220.

ويتجلى طغيان المظاهر الفنية الكتابية بالخطين الكوفي والنسخي في هذا العصر من امتزاج حروف الكتابة بالعناصر الهندسية والنباتية بصفة خاصة، مما أحال العمل إلى لوحات فنية فعلية، تألفت من ثلاثة مستويات على الأقل، وعبّر عنها الفنان بالتدرج في حجم وكثافة العناصر،وذلك بغرض إحداث التضاد والتقابل والتنافر في اللوحة الواحدة معتمدا على الإسقاط الضوئي من خلال أسلوب الحفر وطريقة التنفيذ.

غير أن هذه الرغبة الجامحة الذي أولاها الفنان إلى الزخرفة جعل تشخيص الكتابة وقراءتها وفك رموزها أمرا صعبا وشاقا على غير المتخصص المتمرس على ذلك[٧٦].

وليس من السهل الخوض في تحليل الكتابة في الفن الإسلامي عموما على المنشآت والمنتجات الصناعية،لأن ذلك التحليل يتصل بمستويات وأبعاد ترتبط بشكل الكتابة وأنواعها ومضامينها وتقنياتها، ونحن لن نخوض في هذه الأبعاد لضيق مجال البحث في موضوعنا هذا. ويكفي أن نشيرإلى **الشريط كمجال للزخرفة** مثلما ذكرناه آنفا، والشريط بحجمه وشكله وامتداده، هو أنسب صورة للزخرفة الكتابية، ويتم
توزيعه وتقسيمه بطريقة تحقق اللنص المكتوب مظهرا جماليا بما يحتويه من شروط التوازن والإنسجام، والطواعية والليونة والإنسيابية وذلك بالنسبة للكتابة بنوعيها الكوفي والنسخي بصفة عامة.

أما تقنية الفنان فقد اتجهت في تعامله مع النص بعباراته وكلماته وحروفه إلى المواءمة بين النص الحامل للمعاني والدلالات المراد تسجيلها، وبين تقسيم الفراغ وتوزيع المجال الإبداعي فيه وهو الشريط.

أما في مجال المعالجة الفنية للكتابة في الشريط،فقد أولى الفنان عنايته بصفة خاصة لصواعد الحروف أكثر من اهتمامه بالمنبسطات والنوازل والممتدات.

وإذا كانت هذه الملاحظات عامة بخصوص التقنية والمعالجة في الكتابة العربية الزخرفية زمانا ومكانا ، فإنها هي نفسها التي يمكن إبداؤها بخصوص الكتابة الزيانية والمرينية في سيدي أبي الحسن وسيدي أبي مدين وبنوعيها الكوفي والنسخي. ولا شك في أن مدرسة الخط الأندلسية في غرناطة بني الأحمر ومدرسة الأندلس والمغرب المرابطية والموحدية في خطيها الكوفي والنسخي كانت هي مصدر الإيحاء والإلهام والتطور للزيانيين والمرينيين[٧٧]، كما كانت المنطلق لما تفرع عنها من أساليب في تلمسان وفاس.

---

[٧٦] د.عبدالعزيز لعرج، المنشآت المرينية، جـ٢، ص.٨٩٥ ـ ٨٩٧ .

[٧٧] د. السيد عبدالعزيز سالم، المغرب الكبير، جـ٢، العصر الإسلامي،دار النهضة العربية، بيروت لبنان ١٩٨١،ص.٨٤٢،٧٤٧.

فقد نقشت الكتابة الكوفية في سيدي أبي الحسن وسيدي أبي مدين بأسلوب الحفر البارز، واتخذت لها خلفية أو قاعدة من الزخارف النباتية تؤلفها سيقان وفروع ومراوح بسيطة ومركبة موزعة توزيعا متوازنا منتظما تحقق فنية الخط وجماليته بما أُضفى عليها الفنان من التضاد والتمايز، بحيث جعل القاعدة في صورة سيقان ملتفة تشكل شبه دوائر تتصل بمراوح بسيطة ومركبة، ولكنها بحجم أكبر مما ميز بينها وبين المستوى الأول.

أما الكتابة نفسها فتُعد المستوى الثالث. وبالرغم من اختلاط الحروف الكتابية بالعناصر الزخرفية النباتية والهندسية، فإن الفنان ميزها في الأشرطة من خلال تخصيصه الثلث الأخير أو الربع الرابع وهو قاعدة شريط الكتابة، وهي نفس الخصائص والمميزات في صورة الكتابة الكوفية في المسجدين : أبي الحسن وأبي مدين.

إن تعامل الفنان مع حروف الكتابة كان يتركز على صواعد الحروف وخاصة الصواعد الكبرى، وهي الألفات واللامات، ولكن أيضا مع الصواعد الصغرى (بـ، ـبـ) وما إليها، في صورها الإبتدائية والوسطى، وكذلك حروف (د . ح.) وما إليها و (كـ) في أشكالها الإبتدائية والوسطى والأخيرة .

سيدي أبي الحسن:[٧٨]

وقد تميزت الصواعد الكبرى في سيدي أبي الحسن في أغلب الكتابات بعقفها على شكل أقواس نصف دائرية أو على شكل ميمات معقودة أو هاءات، وذلك من خلال امتداد الصواعد على أشكال بسيطة عادية أو على هيئة مراوح بسيطة أو مركبة، وينتج عن ذلك فراغات مقوسة ومربعة ومستطيلة تشغلها العناصر الزخرفية النباتية والهندسية.

أما الصواعد الصغرى فقد أُلحقت بهاماتها العناصر الزخرفية، وشغلت فراغا يحتل الثلث الثاني أو الثالث في الشريط الزخرفي.

ومما يوحي بإمكانيات الفنان الزياني الخطاط، وبقدرته على التلاعب بالفراغات وبأسلوب التشكيل لجوءه إلى تصغير حجم كلمة الغافلين في الآية ٢٠٤ ـ ٢٠٥ من سورة الأعراف:(... بالغدو والآصال ولا تكن من" **الغافلين** ")، بحيث قسم الكلمة إلى مقطعين: " **الغا** " و " **فلين** " وجعلهما منتصف الشريط فاصلا بينهما بصاعدي الكاف والنون في كلمة " **تكن** ".

سيدي أبي مدين[٧٩]: كان تقسيم الفراغ وتوزيع الكتابة الكوفية في الأشرطة بجامع سيدي أبي مدين مماثلٌ لما هو في سيدي أبي الحسن ،وهو نفس التماثل في المستويات الثلاثة في التشكيل الفني للأشرطة وما يرتبط بها من عناصر زخرفية .

---

[٧٨] عن كتابات هذا المسجد ينظر / أم الخير مطروح،تطور المحراب في عمارة المغرب الأوسط خلال العصر الإسلامي، رسالة ماجستير (غير منشورة)،معهد الآثار،١٩٩٤،ص.٨٩ وما بعدها.

أما أسلوب معالجة الفنان للحروف، فإنه بالرغم من المظهر الزخرفي للكتابة فإنها لم تبلغ المستوى الزخرفي لكتابة سيدي أبي الحسن، فالصواعد الكبرى لحروف كتابة سيدي أبي مدين مستقيمة تنتهي هاماتها بمراوح بسيطة أو مركبة لا عقفة فيها ولا تقويس ولا عقد ولاميمات، وهو نفس ما يقال بالنسبة للصواعد الصغرى فإن نهاياتها اكتفت بعناصر بسيطة احتلت الثلث الثاني للشريط الزخرفي، وربما كان ذلك بتأثير من الأعمال الفنية الموحدية في جامع الكتبية وقصبة أودية بمراكش[٨٠] ،ولكن بالرغم من ذلك فإن الصورة العامة لهذه الكتابة يتوفر فيها المظهر الجمالي للعمل الفني .

الزخرفة الكتابية بالخط النسخي المغربي ـ الأندلسي في الجامعين :ذكرنا آنفا أن أول ظهور للكتابة النسخية في زخرفة العمائر بالمغرب، كان في رقبة قبة جامع تلمسان الكبير المرابطي (٥٣٠هـ/ ١١٣٥م)، ومنذ هذه الفترة استمر التوسع في استخداماته الزخرفية محتلا الصدارة تدريجيا، ومستوليا على مكانة الخط الكوفي وخاصة في العهد الموحدي الذي ازداد فيه الخط النسخي تطورا وتجويدا بفضل ما تمتعت به العدوتان: المغرب والأندلس من وحدة سياسية وحضارية ، وما تلى ذلك من ضغط اسباني على مناطق المسلمين بالأندلس، اضطر معه السكان من مختلف شرائح المجتمع بما فيهم الفنانين والصناع اللجوء لمناطق المغرب وحواضره والاستقرار بها وممارسة أعمالهم فيها، ومنها تلمسان وفاس، وبمقدمهم وانتشارهم في هذه المدن انتشر معهم الخط النسخي ذي الطابع الأندلسي[٨١] الذي صار طابعا مغربيا مثلما نجده في جامعي سيدي أبي الحسن وأبي مدين .

ومن خصائص الخط النسخي في هذين المسجدين الليونة والإنطلاق والإمتشاق وحرية الحركة، وهو في علاقته بالزخارف يشبه الكتابة الكوفية من حيث إلحاق الفنان للعناصر النباتية بهامات الحروف ونهايتها، وتشغل هذه العناصر النباتية الجزء الأعلى من الشريط سواء كانت منفصلة أو ملحقة بالحروف.

وقد انتظمت الكتابة في المسجدين في أشرطة ضيقة مقارنة بأشرطة الكتابة الكوفية فضلا عن أنها ذات طابع أقل زخرفة منها ،وتقوم بدورها على ثلاثة مستويات:

المستوى الأول/ وهي أرضية الشريط خالية من السيقان مثلما كانت عليه في الكتابة الكوفية

المستوى الثاني/ مراوح صغيرة الحجم بسيطة تتناسب مع ضيق الأشرطة.

المستوى الثالث/ وهي الكتابة نفسها وتشغل قاعدة الشريط .

---

[٧٩] د. عبدالعزيز لعرج ، العمارة المرينية ...، ص.٨٩٦ -٩٢٦ ، نفس المرجع السابق ، ص.١١٠ وما بعدها

[80] G.Marcais , L'architecture , P.202, 231 - 236

[٨١] د.عبدالعزيز لعرج ،العمارة المرينية...،ص.٨٩٦- ٨٩٨.

وتتميز الصواعد الكبرى للحروف بالإرتفاع الشديد لتلتقي بالنهاية العليا للشريط وكذلك بالنسبة لشولات الطاء والظاء ، مع امتداد الألف المقصورة، لتحضن الكلمة التي تأتي بعدها . ويتميز فيها حرف اللام ألف فيبدو بارزا قائما على حروف الكلمات السفلية، وهو في ذلك يشبه إلى حدّ كبير اللام ألف في الخط الثلث .

الهوامش

(١) (عبدالرحمن بن خلدون، كتاب العبير،مجـ ٦،دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت لبنان ١٩٨٣،ص.٥٢٣ ـ ٥٢٤.

(٢) عبدالرحمن بن خلدون، نفس المصدر مجـ ٦، ص. ٥٩٣ ـ ٥٩٥، السيد عبدالعزيز سالم، المغرب الكبير، جـ٢،العصر الإسلامي، دار النهضة، بيروت ـ لبنان ١٩٨١،ص.٨٧٥ ـ ٨٧٦ ،

G.Marcais, La BerberieMusulmane et l'orient au moyen àge, Paris 1946,P.279, Note n2

(٣)يحي بن خلودون،مصدر سابق،ص.١٨٦،د.عبدالعزيز لعرج، المنشآت المرينية في إمارة تلمسان الزيانية، رسالة دكتوراه في مجلدين وألبوم(غير منشورة)، معهد الآثار ـ جامعة الجزائر،وجامعة السوربون بباريس،١٩٩٨،مجـ١،ص.٣٥ ـ ٣٦

(٤) يحي بن خلدون،بغية الرواد،جـ ١،ص.١٩٩.)

(٥)عبدالرحمن بن خلدون، مصدر سابق،مجـ٦، ص.٥٢٩

(٦)محمد بن عبدالله التنسي،تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق محمود بوعياد،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ١٩٨٥، ص.١١٢ ـ ١١٣.

(٧) يحي بن خلدون، مصدر سابق، جـ١، ص.٢٠٤، محمد بن عبدالله التنسي، نقس المصدر، ص.١١٣.).

(٨) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط ١٩٧٣،ص. ١٨١ ـ١٨٣.

(٩) مؤلف مجهول، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية،نشره الشيخ بن أبي شنب،مطبعة جون كاربونل،الجزائر ١٩٢٠،ص.٢٧ ـ ٢٨.

(١٠) عن الأحداث في عهد هذا الأمير وصراعه مع الموحدين، ينظر ما يلي/ ابن أبي زرع، مصدر سابق،٢٨٨ ـ ٢٨٩، مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص.٣٣، ٣٥ ـ٣٧، محمد عبدالله عنان،عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الثاني، عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى،ص.١٢،١٦ ، ٥١٢.

(١١) عنه وعن الأحداث في عهده، ينظر/ مؤلف مجهول، المصدر السابق،ص.٦٢ ـ ٦٤، ابن أبي زرع، مصدر سابق،٢٨٩ ـ ٢٩٠، عبدالرحمن بن خلدون، المصدر السابق، مجـ٧، ص.٣٥١ ـ ٣٥٢.

(١٢) عبدالرحمن بن خلدون، نفس المصدر، مـج٦، ص.٦١٨ ـ ٦١٩، مجـ ٧، ص.٣٥٣، السلاوي، مصدر سابق، جـ ٣،ص. ١١ ـ ١٩

(١٣) عن جهود أبي يعقوب بن عبدالحق في بناء الدولة المرينية،وفتح مراكش،ينظر/د.محمد عيسى الحريري،مرجع سابق،ص.٢٧ ـ ٣٥.

(١٤) عن الصراع المريني الزياني، ينظر/ يحي بن خلدون، مصدر سابق، ص.٢٠٥ ـ ٢٠٨، عبدالرحمن بن خلدون، مصدر سابق، مجـ ٧، ص.١٧٥ ـ ١٧٦،١٨٣ ـ ١٨٤
(١٥) أنظر ذلك في/عبدالله عنان،مرجع سابق،ص.٥٣٣.
(١٦) عن تلك الأحداث،أنظر في / عبدالرحمن بن خلدون ، نفس المصدر،مجـ ٧، ص.١٧٥ ـ ١٧٧،٣٨٨ ـ ٣٨٩،٣٧١، السلاوي مصدر سابق، جـ٣، ص.٣٠٥ ـ ٣٠٧ يحي بن خلدون، مصدر سابق، ص٢٠٧،مؤلف مجهول، مصدر سابق،١١٢،١٢٧ ـ ١٣٢
(١٧) عبدالرحمن بن خلدون ، نفس المصدر،مجـ ٧،ص.١٨٩.
(١٨) ابن أبي زرع، مصدر سابق، ٣٧٩،عبدالرحمن بن خلدون ، نفس المصدر،مجـ ٧،ص.٤٤٢، ١٣٢ ـ
١٣٤.السلاوي مصدر سابق، جـ٣، ص.٧٣ ـ ٧٤.
(١٩) محمد بن عبدالله التنسي، مصدر سابق،ص.١٥٧ ـ ١٨١.)
(٢٠) د. عبدالعزيز لعرج، المساجد الزيانية عمارنها وخصائصها، حوليات جامعة الجزائر، العدد٦، السنة
١٩٩١ ـ ١٩٩٢، ص.١٠٤ ـ ١٠٥
(٢١) يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبدالواد، نحقيق د.عبدالحميد حاجيات،الجزائر سنة ١٩٨٠،ص.٢٠٩.
(٢٢) R.Bourouiba , L'art religieux musulman en algerie, AlgerS.N.E.D, 1973, p.122.
(٢٣) د.عبدالعزيز لعرج، المساجد الزيانية ...ص. ١١١)
(٢٤) محمد بن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تدقيق د.ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٨١،ص.٤٠٣).
(٢٥) R.Bourouiba, L'art religiuex..., P.160 _ 161.
(٢٦) د. عبدالعزيز لعرج، المنشآت المرينية في إمارة تلمسان الزيانية، ، مجـ ١،ص.٢٤٢ ـ ٢٤٦،٢٥٤ ـ٢٦٠.)
(٢٧) ابن مرزوق، مصدر سابق، ص.٤٠٣.
(٢٨) أبي زرع، مصدر سابق، ص.١٢٤ ـ ١٢٥٤، وعن مباديء الدعوة المرابطية، ينظر/حسن أحمد محمود،قيام دولة المرابطين،ص.١٤٣ ـ١٤٤.
(٢٩) عنه ينظر/ أبو بكر بن عمر الصنهاجي المعروف بالبيدق،كتاب أخبار المهدي بن تومرت،تحقيق عبدالحميد حاجيات،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر١٩٧٤،د.عبدالله علي علام، الدولة الموحدية باتلمغرب في عهد عبدالمؤمن بن علي،دار المعارف بمصرالقاهرة ١٩٧١،ص.٤٣ ـ ٨١.).
(٣٠) يحي بن خلدون،مصدر سابق ،ص.٢٠٥)،
(٣١) عبد الرحمن بن خلدون، مصدر سابق، مج٧، ص.١٤٧ .

(٣٢) عن علاقة السلاطين بالفقها والعلماء وزيارتهم واستقبالهم، واعتناء السلاطين بالمظاهر الدينية والاحتفال بها، أنظر يحي بن خلدون، مصدر سابق،ص.٢٤٠،٢٠٥ أبو عبدالله التنسي،مصدر سابق، ص.١٢٥-١٤١،١٢٦ - ١٦٢،١٤٢.
(٣٣) الآية ٢٣٨،سورة البقرة
(٣٤) الآية ١١٤ من سورة هود.
(٣٥) الآيتان ٢٤ - ٢٥ سورة النساء.
(٣٦) الآيات الأولى من سورة المؤمنين .
(٣٧) الآية ٧٧ -٧٨، سورة الحج.
(٣٨) الآية ٣٥ -٣٦-٣٧سورة النور.
(٣٩) الآية ١٠٢، ١٠٣ سورة آل عمران
(٤٠) بداية الآية ٣٣ من سورة التوبة ويكمل الإطار بجزء آخر من الآية ٤٥ من سورة النساء .
(٤١) تكميلة للآية ٧ من سورة غافر
(٤٢) سورة غافر، الآيات ٧،٨،٩.
(٤٣) سورة فصلت الآية ٣٠، ٣١.
(٤٤) عن هاتين القبيلتين وموطنهما وأحوالهما، أنظر/ عبدالرحمن بن خلدون، مصدر سابق،مجـ٧،ص.٣١٨،٥٠.
(٤٥) يحي بن خلدون ،مصدر سابق،ص.٢٠٨، ٢٠٩).
(٤٦) عبدالرحمن بن خلدون، مج٧،ص.١٢٢،١٢٠ .
(٤٧) R.Bourouiba, Les InscriptionsCommemoratives …,P.128,140.
(٤٨) هي تتمة للآية الكريمة ١٢٦ من سورة آل عمران
(٤٩) هي تكملة لبداية الآية ١٣ من سورة الصف: وأخرى تحبونها....).
(٥٠)هي نهاية الآية ١٢٨ من سورة آل عمران.
(٥١) جزء من الآية ١٣ من سورة الصف .
(٥٢) الآية ١٨من سورة التوبة.
(٥٣) الآية ٢٦ من سورة النور.
(٥٤) المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، ص.٤٠١ -٤١٨ .
(٥٥) محمد عبدالله عنان، مرجع سابق،ص.٣٢٨.، ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص.٣٤١،٣٢٦،٣١٦،٣٣١،٢٨١.
(٥٦) عن ذلك ينظر ما يلي/ السلاوي، مصدر سابق،جـ٣،ص.٣٧ -٤٢،٤٥،٥٥،٥٨،٧٠.
(٥٧) محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب والأندلس في العصر المريني،ص.١١٣.
(٥٨) ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص.٣٠١، السلاوي، مصدر سابق،جـ٣،ص.٣١).

(٥٩) السلاوي، نفسه، جـ ٣، ص.١٣٤ ـ ١٣٥.
(٦٠) السلاوي، المصدر السابق، جـ ٣، ص.١٣٧، عبدالرحمن بن خلدون، العبر، مجـ ٧، ص.....).
(٦١) عن فترة حكمه،و الأحداث التي جرت في عهده ينظر/ عبالرحمن بن خلدون، مصدر سابف،مجـ٧،ص.٥٠٢ ـ٥٢٤.)،
(٦٢) الآية ١٩ـ ٢٠ من سورة التوبة .
(٦٣) A. BEL, Les inscriptions arabes de Fés, thireau, Mostaganem et ses environs, p.115, (M.Belhamissi, Histoire de Mostaganem, Alger 1976 pp.47-48 –
(٦٤) عن هذا النقش أنظر/ R. Bourouiba, Les inscriptions commemoratives des mosquées d'Algerie, O.P.U 1984,pp.145_145.
(٦٥) ابن مرزوق،مصدر سابق،ص.٤٠٦،٤٠١.
(٦٦) عبدالحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني،ص.١٩ ـ ٢١.
(٦٧) نفسه،ص.٢٣ ـ ٢٤.
(٦٨) عبدالله علي علام، مرجع سابق، ص.٢٣٢ ـ ٢٣٣.
(٦٩) (R. Bourouiba, L'art religieux musulman , pp. 131_ 133. .
(٧٠) عبدالعزيز الدالي، الخطاطة الكتابية العربية، مكتبة الـــ بمصر، القاهرة ١٩٨٠، ص.٩٣.
(٧١) عن الخط الكوفي في افريقية في المنشآت وشواهد القبور، انظر/ B.Roy et P.Poissot, inscriptions arabe de Kairouan, vol. I-II, librairie GK.KLINCKSIECK, Paris 1950, G.Marçais, L'architecture musulmane d'occident, Paris 1954 .
(72) عن كتابة رقبة جامع تلمسان، أنظر/ رشيد بورويبة، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ترجمة ابراهيم شبوح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٧٩، ص.٦٥ ـ٦٦ . R.Bourouiba, L'art religieux, P.83-84.
(٧٣) عن انتقال الخط الكوفي من مصر إلى المغرب وبالتالي النسخي، أنظر/ G.et W.Marçais, Les monuments..P.88.
(٧٤) H.Terrasse, Sanctuaires et forteresses Almohades, coll. Hesperis, larose Paris 1932, p.65.
(٧٥) Ibid, P.220.
(٧٦) د.عبدالعزيز لعرج، المنشآت المرينية، جـ٢، ص.٨٩٥ ـ ٨٩٧ .
(٧٧) د. السيد عبدالعزيز سالم، المغرب الكبير، جـ٢، العصر الإسلامي،دار النهضة العربية، بيروت لبنان ١٩٨١،ص.٨٤٢،٧٤٧.
(٧٨) عن كتابات هذا المسجد ينظر / أم الخير مطروح،تطور المحراب في عمارة المغرب الأوسط خلال العصر الإسلامي، رسالة ماجستير (غير منشورة)،معهد الآثار،١٩٩٤،ص.٨٩ وما بعدها.

(٧٩) د. عبـدالعزيز لعـرج ، العمــارة المرينيــة ...، ص.٨٩٦ -٩٢٦ ، نفـس المرجـع السابق ، ص.١١٠ وما بعدها

(٨٠) G.Marcais , L'architecture , P.202, 231 - 236

(٨١)د.عبدالعزيز لعرج ،العمارة المرينية...،ص.٨٩٦- ٨٩٨.